

عبد الله بن المبارك

الإمام القدوة

بقلم : محمد عثمان جمال

علم شامخ من اعلام الاسلام وإمام من أئمة الحديث والفقہ الكبار وأحد اعاجيب الدنيا في العلم الغزير والزهد والتقوى والورع والعبادة والكرم والجهاد والدعوة ونشر العلم والتواضع وحسن المعاملة . وهذه مزايا قلما اجتمعت في رجل ولكنها اجتمعت كلها في فريد عصره ووحيد دهره الإمام الرباني عبد الله ابن المبارك .

ولد في مرو أعظم مدن خراسان سنة ١١٨ هـ في عهد الخليفة الاموي هشام ابن عبد الملك وقد بدت عليه مخايل النبوغ وملامح الذكاء منذ صغره شهد بذلك اصداقائه الذين كانوا يتلقون معه العلم في ذلك الوقت : فقد أورد الخطيب البغدادي قصة عن صديق لابن المبارك تشهد أنه كان آية في قوة الحفظ واستمساك الذاكرة قال : كنا غلمانا في الكتاب فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب فخطب خطبة طويلة فلما فرغ قال لي ابن المبارك : قد حفظتها . فسمعه ورجل من القوم فقال : هاتها . فأعدها عليه ابن المبارك وقد حفظها .

حياته العلمية :

عدد من حمل عنه من الشيوخ أربعة آلاف شيخ . وكان لكثرة ما يكتب كما قال الاعرابي لا يترك نقارة إلا انتقرها ولا نفاصة الا انتمصها وانه للقفه الكلمة الشروء . وقد ظل يطلب العلم طيلة حياته وكان يقول : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل . وكان في كل ذلك من الربانيين في العلم لا يطلبه إلا الله ولا يأخذه إلا ممن يحدث الله .

وقد كان طلابا للعلم نادر المثال ورحل الى جميع الاقطار التي كان يحج إليها شدة العلم في ذلك العصر فمن اليمن في أقصى الجنوب الى الشام في أقصى الشمال الى ما بين هذين القطرين من مصر والحجاز والبصرة والكوفة يلتقي بعظام الأئمة كالثوري والاوزاعي والليث بن سعد ومالك وابي حنيفة فيستخرج من عقولهم كنوز العلم وجواهر المعرفة حتى بلغ

وقد بلغت مكاتبه في الحديث حبا

قال له الرشيد : فأين أنت يا عدو الله
من أبي اسحاق الفزاري وعبد الله ابن
المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا
حرفا ! .

هذه مكانته في الحديث أما مكانته
في الفقه فلنسمع الى ابراهيم بن
شماس يقول : رأيت أفقه الناس
وأورع الناس وأحفظ الناس فأما
أفقه الناس فعبد الله بن المبارك وأما
أورع الناس ففضيل بن عياض وأما
أحفظ الناس فوكيع بن الجراح .
والى ابن المعتز بن سليمان يقول :
قلت لأبي يا أبت من فقيه العرب ؟
قال : سفيان الثوري ، فلما مات
سفيان قلت : يا أبت من فقيه العرب ؟
قال : عبد الله بن المبارك .

ولكن ابن المبارك لم يكن محدثا
فقط ولا فقيها فقط بل كان جامعة
علمية واسعة يجمع أنواع العلوم
والمعارف فهو في الحديث طبيب وفي
الفقه إمام وهو فوق ذلك أديب وشاعر
ولغوي ونحوي ومقرئ ومفسر
ومؤرخ : اجتمع جماعة من أصحاب
ابن المبارك فقالوا : عدوا خصال ابن
المبارك من أبواب الخير فقالوا : جمع
العلم والفقه والادب والنحو واللغة
والزهد والشجاعة والشعر والفصاحة
والورع والانصاف وقيام الليل
والعبادة والحج والغزو والفروسية
وترك الكلام فيما لا يعنيه والشدة في
رأيه وقلة الخلاف على أصحابه .

وكان شاعرا فصيحاً ذا شعر
رائق ونظم عذب يقول الشعر في حث

جمل أهل العلم يرون فيه واحد الدنيا
وعالم الأرض في ذلك الوقت فهذا
اسماعيل بن عياش محدث الشام في
عصره يقول : ما على وجه الأرض مثل
عبد الله بن المبارك . وعن عبد الله بن
سنان قال : قدم ابن المبارك مكة وأنا
بها فلما خرج شيعه سفيان بن عيينة
والفضيل بن عياض وودعاه فقال
أحدهما : هذا فقيه أهل المشرق فقال
الأخر : وفقه أهل المغرب . وعن
عبد الرحمن بن أبي جميل قال : قلنا
لابن المبارك يا عالم المشرق حدثنا
فسمعنا سفيان فقال : ويحكم عالم
المشرق والمغرب وما بينهما . ويقول
أبو أسامة : ابن المبارك في أصحاب
الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس .

وبسبب مكانته هذه كان مثابة
للعلماء ومرجعا يحتكم اليه أصحاب
الحديث ويصدرون عن رأيه فعن
فضالة التونسي قال : كنت اجالس
أصحاب الحديث بالكوفة وكانوا اذا
تشاجروا في حديث قالوا : مروا بنا
الى هذا الطبيب حتى نسأله يعنون
عبد الله ابن المبارك . وكانت هذه
المنزلة يعرفها كل الناس من ابن المبارك
حتى السلطان مع أنه كان أبعد الناس
عن أبواب الحكام والسلاطين فقد
أخرج ابن عساكر عن ابن عليه قال :
أخذ هارون الرشيد زنديقا فأمر
بضرب عنقه فقال له الزنديق : لم
تضرب عنقي ؟ قال له : أريح العباد
منك . قال : فأين أنت من الفخديث
وضعتها على رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلها ما فيها حرف نطق به ؟

جمع ابن المبارك رضي الله عنه كل خصلة محمودة حتى أصبحت سيرته نسيما تستروح به القلوب وتشرح له الصدور وتشجذ به الهمم . قال اسماعيل بن عياش : ما على وجه الارض مثل عبد الله ابن المبارك ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله ابن المبارك . وقد بلغ من عاو منزلته أن وضعه العلماء في صف الصحابة رضي الله عنهم لا يفضلونهم عليه إلا بشرف الصحة وفي ذلك يقول سفيان بن عيينة كلمته التي نقلتها أكثر كتب التاريخ والتراجم يقول : نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزاهم معه ، وسأحدث عن محاسن هذا الامام العظيم بالقدر الذي تتسع له مثل هذه الكلمة .

١ - زهده :

فهو خير من فهم الزهد ونفذ من مظاهره وقشوره الى سويداء قلبه فهو لم يفهم الزهد على أنه رفض للدنيا واعتزال للناس واعتماد على هبات المحسنين بل فهم الزهد على أن تجد في الحياة فتكسب المال وتمشي في مناكب الارض تبتغي من رزق الله فاذا صار المال اليك انفقته في سبيل الله واستعنت به على طاعة ربك لا ترى محتاجا إلا ساعدته ولا مريضا إلا واسيته ولا مسكينا إلا اعنته ولا حقا لله إلا أدبته ، حدث علي بن الفضيل

الناس على الجهاد وطلب الشهادة وتحبيب الزهد وستاتي نماذج من شعره في الحديث عن حياته العملية . وكانت له أقوال إن هي إلا صورة لنفسه ومראה لروحه اكتفي بذكر هذه الكلمة البليغة المؤثرة يقول : إن العلماء ورثة الانبياء فاذا كانوا على طمع فمن يقتدى ؟ والتجار أمناء الله فاذا خانوا فعلى من يؤمن ؟ والغزاة أضياف الله فاذا غلوا فمن يظفر على العدو ؟ والزهاد ملوك الارض فاذا كانوا ذوي رياء فمن يتبع ؟ والولاة رعاة الانام فاذا كان الراعي ذئبا فمن تحفظ الرعية ؟ .

حياته العملية :

عرف ابن المبارك أن العلم ليس إلا طريقا للعمل فهو لم يتعلم العلم ليحاري به العلماء ولا ليماري به السفهاء ولا ليكسب به الدرهم والدينار ولا ليلفت اليه الانظار ويشار اليه بالبنان بل تعلم العلم ليعمل وانما العالم من عمل وان كل علم لا يرافقه عمل لا يزيد من الله إلا بعدا ولا يستجلب منه إلا المقت والسخط وابن المبارك رضي الله عنه هو القائل : لينفع العلم قبل الموت عالمه قد سال قوم بهالرجعى فمارجموا

ونسارع فنقول : ليس عجبا ان تجتمع الفضائل كلها في رجل لان جميع الفضائل مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم فمن جعل ذلك قدوته وإمامه اجتمعت فيه خصال الخير كلها . وعن هذا الطريق

مرة : كيف يعرف العالم الصادق ؟
فقال : الذي يزهد في الدنيا ويقبل
على أمر آخرته . ومن أجل كل ذلك
كان ابن المبارك قدوة الزاهدين حتى
ليقول فيه الامام الزاهد التقي الفضيل
ابن عياض : « ورب هذا البيت ما رأت
عيناى مثل ابن المبارك » .

هذا زهد ابن المبارك الزاهد الغني
الذي جاءته الدنيا بمالها ومتاعها فما
جعل لها مكانا من قلبه ولا حظا من
نفسه ولم يكن زهده قولاً لا يصدقه
عمل ففي روايات جوده وانفاقه ما يظنه
اغنياء زماننا من الاساطير ولكنه
الواقع الذي تشهد به المراجع الامينة
والمصادر الموثوقة .

٢ - كرمه :

فقد كان يخصص مائة الف درهم
في كل سنة ينفقها كلها في أهل العبادة
والزهد والعلم وهذا كل ما يربحه من
تجارته وربما أنفق من رأس ماله
ايضا . ولأجل ذلك كان يتاجر
ويكسب . قال يوما للفضيل : لولا
انت وأصحابك ما إتجرت وروي أنه
كان يشتري التمر ويأتي به السى
الايتم والمساكين ويقول لهم : من
يأكل من تمرى فله درهم على كل تمر
ثم يعد نواة كل واحد منهم فيعطيه
لكل نواة درهما . وان أخبار جوده
وكرمه كثيرة جدا لذلك اقتصر على
ذكر هاتين القصتين :

الاولى : أنه خرج مرة الى الحج

ابن عياض قال : سمعت ابي يقول لابن
المبارك : أنت تأمرنا بالزهد والتقلل
والبلغة ونراك تأتي بالبضائع من بلاد
خراسان الى البلد الحرام كيف ذا ؟
قال ابن المبارك : يا ابا علي انما افعل
ذا لأصون به وجهي وأكرم به عرضي
وأستعين به على طاعة ربي لا أرى لله
حقا إلا سارعت اليه حتى اقوم به .
فقال له الفضيل : يا ابن المبارك
ما احسن ذا إن تم ذا . وكان ابن المبارك
رضي الله عنه يقول : لا يخرج العبد
عن الزهد إمساك الدنيا ليصون بها
وجهه عن سؤال الناس .

فهو غني واسع الغنى وله أموال
وفيرة وتجارة واسعة ومع ذلك فهو
زاهد حقيقي . فقد كان له رأس مال
نحو أربعمائة الف يدور يتجر بها في
البلدان وكان يربو كسبه في كل سنة
على مائة الف ينفقها كلها في أهل
العبادة والزهد والعلم وربما أنفق من
رأس ماله . وكانت سفرتة تحمل على
بعير وحدها وفيها من أنواع المأكول
من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك
ثم يطعم الناس وهو الدهر صائم في
الحر الشديد . وقد صحبه قوم من
مصر الى مكة فكان يطعمهم الجنيص (١)
وهو الدهر صائم .

وقد كان زهده هذا ثمرة علمه
الرياني فقد كان يقول : من شرط العالم
أن لا تخطر محبة الدنيا على باله .
ويقول : كيف يدعى رجل أنه أكثر علما
وهو أقل خوفا وزهدا ؟ . وقيل له

(١) الجنيص : طعام يعمل من التمر والسمن .

ابن المبارك : إن كنت وكيلي فأنفذ ما أمرتك به وإن كنت أنا وكيلك فتعال إلى موضعي حتى أصبر إلى موضعك فأنفذ ما تأمرني به . فمن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فاجأ من أخيه المسلم فرحة غفر الله له » فأحببت أن أفاجئه فرحة على فرحة .

٣ جهاده : أما عن جهاده فإنه كان مع علمه الغزير وزهده المعجيب وورعه وتقواه كان مع ذلك من أكبر المجاهدين وذلك لأن العلم والتقوى والزهّد والورع ليست من المبررات القعود عن الجهاد في سبيل الله كما اعتاد المسلمون أن يروا في عصرنا الحاضر بل أن كل ذلك مما يؤكد الجهاد ويدفع إليه ويجعله أوجب وأكد . وقد كان ابن المبارك رضي الله عنه يحج سنة ويفزو مرابطاً في سبيل الله في الثغور سنة فمرة يربط في طرسوس وأخرى في المضيفة وفي غير ذلك من الثغور الإسلامية حتى أدركته الوفاة وهو منصرف من بعض الثغور حيث كان يفزو ويجاهد في سبيل الله وعمره ثلاث وستون سنة . وكان إذا وصل إلى الثغر اجتمع المجاهدون حوله يتعلمون منه العلم ويكتبون عنه الحديث كما يتعلمون منه الشجاعة . وقد كان يجاهد بنفسه ويحث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله ويفهمهم أن العبادة تحت ظلال السيوف حيث الموت يقط الرقاب خير من العبادة في محراب المسجد

فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم فلما مر بالمزبلة إذا جارية - بنت - قد خرجت من دار قريبتها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعته إلى الدار فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الأزار وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة وقد حلت لنا الميتة منذ أيام وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل . فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لو كيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار . فقال : عد منها عشرين دينارا تكفيننا إلى مرو وأعطها الباقي فهذا أفضل من حننا في هذا العام ثم رجع .

والثانية : أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضي ديناً عليه فكتب له إلى وكيله فلما ورد عليه الكتاب سأله : كم الدين الذي سألت فيه عبد الله بن المبارك أن يقضيه عنك ؟ قال : سبعمائة درهم . فنظر في الكتاب فإذا قد أمر له بسبعة آلاف درهم فكتب إلى عبد الله : إن الرجل سألك أن تقضي عنه سبعمائة درهم وكتب له سبعة آلاف درهم وقد فنيت الغلات . فكتب إليه عبد الله بن المبارك : أن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر قد فني فأجر له ما سبق به قلبي . وفي حادثة مشابهة يلح عليه الوكيل فيكتب إليه

حيث الامن والاطمئنان . ففي آياته التي أرسلها من الثغر الى صديقه الامام الزاهد الورع الفضيل بن عياض الذي يتعبد في الحرم يقول :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
لعلمت انك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنجورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن غيرنا
وهج السناكب والغبار الاطيب

وروي أن الفضيل لما قرأ هذه الابيات بكى وذرفت عيناه بالدموع وقال : صدق ابو عبد الرحمن ونصح . ثم قال لمن جاءه بالرسالة : اكتب هذا الحديث جزاء لحمل الكتاب وقال : حدثني المنصور بن المعتمر عن ابي صالح عن ابي هريرة أن رجلا قال : دلني على عمل انا له به ثواب المجاهد في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل تستطيع أن تصوم ولا تفطر وتصلي ولا تفتر ؟ فقال : يارسول الله اني اضعف عن ذلك ، فقال عليه السلام : فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك لما بلغت فضل المجاهد في سبيل الله أما علمت ان فرس المجاهد ليستن (١) في طوله فيكتب لصاحبه بذلك الحسنات .

هكذا كان رضي الله عنه يقابل ويحرض المؤمنين على القتال فاذا تصافحت السيوف وتعانقت الرماح

(١) ليستن : اي ليمرح وقيل يرعى .

وتزاحف الجيوشان كان في اول الصفوف يصول صولة الاسد ويتقدم حيث يتأخر الابطال واليك ما حدث به احد المرافقين له في إحدى المعارك مع الروم : حدث عبد المروزي قال : كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا الى البراز فخرج اليه رجل فقتله ثم آخر فقتله فتأخر عنه المسلمون وصال وجال بين الصفيين ودعا الى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله فازدحم اليه الناس فكنت فيمن ازدحم اليه فاذا هو يلثم وجهه بكفه حتى لا يعرفه الناس فاخذت بطرف كفه فمدته وأزحته عن وجهه فاذا هو عبد الله بن المبارك فقال : وانت يا ابا عمرو ممن يشنع علينا ؟ . وروي انه كان يحضر القتال ويقا تل ويبلي بلاء حسنا فاذا كان وقت القسمة غاب فقيل له في ذلك فقال : يعرفني الذي اقاتل له .

أرايت كل هذه البطولة النادرة وهذا الجهاد في سبيل الله وهذا الاخلاص في ابتغاء وجه الله ؟ إن ابن المبارك كان أكبر من ذلك أيضا لقد كان رضي الله عنه شديد التدم على الايام التي شغل فيها عن الجهاد في سبيل الله لنصر دينه واعلاء كلمته يندم على أيامه الماضية مع أن الشاغل له لم يكن اللهو واللعب والترف ولا التمتع بالدعة والراحة لقد كان مشغولا بتعلم الحلال والحرام وبالتفقه

على الثغور ويحضر المعارك والغزوات ويخرج لبراز أكبر الفرسان ويعف عند المغنم ، ويسير في حالك الظلمات في ظل الامطار وفوق السيول ويدافع الناس ليستقي دابته وهو مع ذلك إمام عصره ووحيد دهره . وذلك أنه كان يعلم من جملة ما يعلم من العلم الرباني أنه لا يستوي المجاهدون والقاعدون ولو كانوا جميعا من المؤمنين (وان الله فضل المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) وكان يعلم أن المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وان كان في كل خير .

٤ - نشره العلم :

أما عن نشره للعلم فأمره عجيب فقد كانت داره كبيرة بمرور فكنست لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجلا له مروءة وقدر بمرور إلا رأيت في داره يجتمعون في كل يوم حلقا يتذكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه . وكان ربما وقف الساعات الطوال في الليلة المظلمة والبرد الشديد يعلم العلم ويذاكر الحديث واليك ما رواه علي بن الحسن بن شقيق ثم اكتف به دليلا على شغفه الشديد بنشر العلم : قال علي : قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرته فمزال يذاكرني حتى جاء المؤذن فأذن للفجر ..

في الدين ومع ذلك فقد كان يندم على أن ضيع أيامه في الفقه وشغل عن انجهد : حدث عبدة بن سليمان قال : كنا مع ابن المبارك في ارض الروم فبينما نحن نسير ذات ليلة والسماء - المطر - من فوقنا والبلية من تحتنا قال ابن المبارك : يا أبا محمد أفنينا أيامنا في الإيلاء والظهار عن مثل هذه الليالي ..

أرأيت كيف يندم على أيام قضاها في الفقه لانه شغل عن جهاد الروم وعن السير في ظلمات الليل تحت وابل المطر وفوق سيول الماء . وإن للقصة تمة : يقول عبدة : .. فلما أصبحنا نزلنا على عين ماء فجعل الناس يتبارون ويسقون دوابهم فقدم ابن المبارك دابته فضرب رجل من أهل الثغر وجه دابة ابن المبارك وقدم دابته فقال : يا أبا محمد المنافسة في مثل هذا الموضع ليس في الموضع الذي إذا راونا قالوا وسعوا لأبي عبد الرحمن ارتفع يا أبا عبد الرحمن .

هنا هنا المنافسة حيث الجوع والظمأ والتعب والنصب وحيث الظلام والمطروحيث المدافعة والمزاحمة وحيث الناس لا يعرفون من هو ابن المبارك ليكرموه ويقدموه ويوسعوا له الطريق .

هكذا كان رضي الله عنه يجالده ويجاهد ولا يريد أن يعرف ، ويرابط

٥ - إياؤه وعزة نفسه :

وأما عن إيائه وعزة نفسه فهذا أعجب فلقد كان في إيائه وعزة نفسه ملكا فوق الملوك وذلك أنه أعز العلم وأخلص فيه وضانه عن أن يكون بضاعة للكسب وسلعة للمتاجرة وعظم العلم وأكرمه فلم يدنسه على أبواب الحكام وذوي الجاه وكان لا يقبل عطايا السلاطين وإذا بلغه عن أحد معارفه أنه قبل ذلك نصحه بإنفاقها في وجوه الخير وقد سئل مرة : من سفلت الناس ؟ فقال الذين يتعيشون بدينهم . وبلغه عن اسماعيل بن عليّة أحد أئمة الحديث في عصره أنه ولي الصدقات فكتب إليه ابن المبارك هذه الأبيات يعتب عليه ويلومه على ما فعل :

يا جاعل العلم له بازيا

يصطأ أموال السلاطين

احتلت للدينيا ولذاتها

بحيلة تنهب بالدين

فصرت مجنوناً بها بعدما

كنت دواء للمجانين

أين رواياتك والقول في

لزوم أبواب السلاطين

إن قلت أكرهت فما هكذا

زل حمار الشيخ في الطين

وروي أن إسماعيل بن عليّة لما

قرا الكتاب بكى وأستغفى . وقد

بلغ بابن المبارك البعد عن السلاطين والامراء أنه ربما جاءه الأمير السى بابه يسأله عن الحديث فيمتنع عن تحديثه إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يحدث به من لا يطلبه الله فقد روي أن والي مرو جاء الى منزل عبد الله بن المبارك ومعه كاتبه والدواة والقرطاس معه فسأله عن حديث فأبى أن يحدثه ثم سأله عن حديث فأبى أن يحدثه - ثلاث مرار - فقال لكاتبه : اطو قرطاسك ما أرى أبا عبد الرحمن يرانا أهلا لان يحدثنا فلما قام يركب مشى معه ابن المبارك الى باب الدار فقال له : يا أبا عبد الرحمن لم لم ترنا أهلا أن تحدثنا وتمشي معنا ؟ فقال : إني أحببت أن أذل لك بدني ولا أذل لك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد بلغ به التعفف عن عطايا السلطان انه لما حضرته الوفاة اشتهي سويقا فعرض عليه فلم يقبل ومات ولم يشرب لانه من عند رجل يعمل من أعمال السلطان .

٦ - هذا هو ابن المبارك المحدث

الفقيه والامام القنوة والعالم الزاهد

والسخي الجواد والبطل المجاهد

والداعية المعتم والابى العزيز أما عن

حسن معاملته لاصحابه وجيرانه وعن

ورعه البقيق وبعده عن الشبهات

وعن عبادته وتقواه وضومه النهار

وقيامه الليل وإسراره بالعبادة وبكائه

الشديد حتى يصبح كالثور المنبوح
وخوفه من هول يوم القيامة الذي
يكاد يخلع قلبه وخيائه من الله حتى
يستحي أن يسأل ربه الجنة . فهذا
كله اعجب واعجب ولكن لا يتسع له
المقال .

فليس غريبا بعدما سمعت - وما
لم تسمعه أكثر - أن ترى سفيان
يقول : إني لأشتهي من عمره كله
أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن
المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة
أيام . وأن يقول : وددت عمري
كله بثلاثة أيام من أيام ابن المبارك .
وأن يقول شعيب بن حرب : جهدت

جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام
مثل ابن المبارك فلم أقدر .

توفي رضي الله عنه سنة إحدى
وثمانين ومائة في أفضل شهر وهو
رمضان لعشر مضين منه وفي أفضل
ساعة وهي ساعة السحر وبعد
أفضل عمل إذ توفي بعد انصرافه من
الغزو ودفن بهيت - بلدة من نواحي
بغداد - وقبره هناك ظاهر يزار .
وروي أنه لما حضرته الوفاة فتح عينه
وضحك وقال : لمثل هذا فليعمل
الماملون .

رضي الله عنه وأعلى في عليين مقامه
ورزقتنا والمسلمين السير على نهجه .